

الربيع العربي.. مخاوف وآمال

أندرو تورشيا وسليمان الخالدي

يقول مازن الدجاني الرئيس التنفيذي لمجموعة سي.تي.أي الأردنية ان الربيع العربي فعل ما لم تفعله الأزمة المالية العالمية في 2008، فقد رُح بشركته وهي إحدى أكبر شركات شحن الاسمنت في العالم في براثن الخسارة. ويقول ان شحنات الشركة الى مصر اندحرت خلال الانتفاضة التي قامت ضد حسني مبارك أوائل العام الماضي ولم تعد الى مستواها المعتاد حتى الآن وان الشحنات المتجهة الى اليمن تعطلت بسبب الاضطرابات الحاصلة هناك. ومازالت التجارة مع ليبيا متوقفة بالرغم من انتهاء الحرب في العام الماضي. وتتوقع الشركة ان يسهم العالم العربي بما بين 12 و 14 بالمئة من أعمالها في 2012 مقارنة مع 30 بالمئة على الأقل في الأوقات الطبيعية. وقال الدجاني (46 عاماً) وهو من عائلة أردنية فلسطينية تعمل بالتجارة وتتمتع بالفنود ان الربيع العربي حول الشركة من الربيع الى الخسارة للمرة الأولى في نحو عشر سنوات.

الاحباط الذي يشعر به الدجاني محسوس في أنحاء المنطقة. فبعد عام من الاطاحة بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي والاحتجاجات المناهية بالديمقراطية التي تفجرت اثر ذلك في أكثر من 12 بلدا عربيا لا يزال التبادل التجاري معطلا ولا تزال استثمارات بملبيارات الدولر مجمدة وفقد عشرات الآلاف وظائفهم. وهذا قد يؤدي لتفاقم المشكلات الاقتصادية التي كانت عاملا في اندلاع الثورات. لكن هذه النظرة القاتمة ليست هي السائدة لدى الجميع. فالعديد من رجال الأعمال العرب مقتنعون بان هذه الاضطرابات فتحت الباب لفرص جديدة للشركات الخاصة وازاحت المصالح المتجزئة وفتحت الساحة أمام لاعبين جدد. ويقارن توماس ميرابو رئيس البنك الاوربي للانشاء والتعمير بين الربيع العربي وسقوط الشيوعية في دول الاتحاد السوفيتي السابق قبل نحو عشرين عاما قائلا ان الربيع العربي قد يساعد على احياء اقتصادات شمال افريقيا الى سلسلة التوريدات العالمية. وهذا قد يدفع العالم العربي الى نمو غير مسوق.

ان الربيع العربي كان اثره بسيطاً على ارباح مجموعته في العام الماضي. وهو يرصد حيوية جديدة في اقتصادات عديدة في العالم العربي حيث يشكل الشباب تحت سن 25 عاما نحو 60 بالمئة من مجموع السكان البالغ عددهم 350 مليون نسمة. وقال يوسف الذي يراس أيضا اتحاد المصارف العربية ومقره بيروت "ارى ذلك وأشعر بريح التغيير حين أتحدث مع زملائي المصرفيين والاعمال". وأضاف يوسف ان الحكومة الجديدة في تونس التي انتخبت في أكتوبر/تشرين الأول تنسّق الاموال لا يقدم فرصا متكافئة للشركات الجديدة. وقال عبد الووود ان المنافسة العالية حتى قبل العام الماضي كانت تضغط على شبكات المحسوبة القديمة. وقد اطاحت الاضطرابات السياسية في المنطقة بالتونسي زيادة بنسبة 7,5 بالمئة في انفاق الموازنة العامة لعام 2012 مقارنة بالعام السابق. وقد امتلكت عائلة بن علي الكبيرة عملا ضخمة في قطاعات مثل الاتصالات والاعلام والمصرفي وهو ما سد الطريق امام المنافسين المحتملين.. والآن يجري تفكيك هذه الشبكة وهو ما قد يولد فرصا جديدة. وقال يوسف ان مجموعة البركة تقدمت بطلب لفتح فرعين جديدين في تونس ليرتفع مجموع فروعها هناك الى 12. وأضاف ان المصرفيين في مصر وبلدان أخرى أصبحوا يتمتعون بحرية أكبر في الأقرض بدون

تدخل سياسي. وتوجه ليبيا نحو تخفيف القيود على البنوك المملوكة للقطاع الخاص بعد سنوات من القيود الصارمة. وتظهر فرص جديدة للنشاط المصرفي الإسلامي في عدة بلدان من بينها المغرب وسلطنة عمان. وقال يوسف أتوقع أن ينمو دور القطاع الخاص الذي كانت الحكومات تضيق عليه في السنوات المقبلة إذ ان التغيير يأتي بمزيد من المنافسة والانفتاح. وهذه المكاسب المستقبلية المحتملة في بلدان عديدة تحجبها تكاليف ثقيلة في الحاضر. وتفسير تدويرات صندوق النقد الدولي التي حللتها رويترز التي ان الدول العربية الستة التي شهدت أخطر الاضطرابات وهي البحرين ومصر وليبيا وسوريا وتونس واليمن خسرت ما قيمته 50 مليار دولار تقريبا من ناتجها في العام الماضي او 11 بالمئة من ناتجها مجتمعة في 2010 وربما خسرت مصر نحو عشرة مليارات دولار في حين يقول صندوق النقد ان الناتج الاقتصادي لليبيا تراجع الى النصف ليصل الى 35 مليار دولار. وتأثرت كل الاقتصادات العربية الأخرى في شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط بدرجة ما. وربما تكون هذه الأرقام أقل من رعت الانتفاخ على الأجور ودعم الغذاء والطاقة. وهذا يؤثر سلبي على المالية العامة التي كانت

تدخل سياسي. وتوجه ليبيا نحو تخفيف القيود على البنوك المملوكة للقطاع الخاص بعد سنوات من القيود الصارمة. وتظهر فرص جديدة للنشاط المصرفي الإسلامي في عدة بلدان من بينها المغرب وسلطنة عمان. وقال يوسف أتوقع أن ينمو دور القطاع الخاص الذي كانت الحكومات تضيق عليه في السنوات المقبلة إذ ان التغيير يأتي بمزيد من المنافسة والانفتاح. وهذه المكاسب المستقبلية المحتملة في بلدان عديدة تحجبها تكاليف ثقيلة في الحاضر. وتفسير تدويرات صندوق النقد الدولي التي حللتها رويترز التي ان الدول العربية الستة التي شهدت أخطر الاضطرابات وهي البحرين ومصر وليبيا وسوريا وتونس واليمن خسرت ما قيمته 50 مليار دولار تقريبا من ناتجها في العام الماضي او 11 بالمئة من ناتجها مجتمعة في 2010 وربما خسرت مصر نحو عشرة مليارات دولار في حين يقول صندوق النقد ان الناتج الاقتصادي لليبيا تراجع الى النصف ليصل الى 35 مليار دولار. وتأثرت كل الاقتصادات العربية الأخرى في شمال افريقيا وشرق البحر المتوسط بدرجة ما. وربما تكون هذه الأرقام أقل من رعت الانتفاخ على الأجور ودعم الغذاء والطاقة. وهذا يؤثر سلبي على المالية العامة التي كانت

مهتزة بالفعل ويستنزف احتياطيات النقد الأجنبي. وأصبحت مصر معرضة لأزمة ديون سيادية وأزمة في ميزان المدفوعات هذا العام. وترتفع حاليا تكاليف الاقتراض الحكومي مع خروج المستثمرين الأجانب وهو ما يضطر الحكومة للاعتماد على البنوك المحلية لتمويل عجز الميزانية.

وتأثرت أيضا قطر الدولة الخليجية الغنية التي لم تشهد اضطرابات سياسية. وقال الدجاني ان قطر كانت تعزز الاستثمار بشركته لاستيراد ما لا يقل عن 400 الف طن من الاسمنت الكلتك وهي مادة اولية تستخدم في صناعة الاسمنت في العام الماضي. ولم تتحقق هذه الاتفاقات التي شكلت نحو ثلث الواردات القطرية المتوقعة في هذه المادة في 2011 بعدد ان اضطرت الشركات القطرية لإبطاء خططها بسبب الاضطرابات في البحرين واحتجاجات اصغر منها في شرق السعودية.

ويفعل الأوضاع الصعبة في منطقة شرق المتوسط لشركة سي.تي.أي التي ارسلت ناقلاتها للعمل في اندونيسيا. وقال الدجاني ان العالم العربي هو السوق التقليدية للشركة وليس اندونيسيا أو أي مكان آخر لان الشركة عربية وعمالها التقليديون هنا وهي تعمل في المنطقة منذ 20 عاما. وعبر عن امه في تحسين الأحوال. ولا تفصح سي.تي.أي عن بياناتها المالية باعتبارها شركة خاصة. يزال انعدام الأمن وانعدام اليقين السياسي يثنيان المستثمرين. وقد تشهد دول مثل مصر وليبيا مجموعة مختلفة تماما من المسؤولين الاقتصاديين منهم الأحزاب الإسلامية التي كانت تقصى من الحكومات في السابق. وقال الدجاني ان الناس في مصر في حالة ترقب حتى على مستوى من يرغب في اضافة غرفة جديدة الى منزله. وأضاف ان هذا يبطئ

ولن تكون هناك حلول سريعة. فارتفع البطالة بين الشباب والنزوح غير العادل للثروة من أكبر المشكلات الاقتصادية في العالم العربي وقد ساهما في تفجير الاحتجاجات ولم يحدث تحسن فيها. وقال تقرير للامم المتحدة نشر عام 2009 ان الدول العربية ستحتاج لخلق 51 مليون فرصة عمل جديدة بحلول 2020 لاستيعاب القادمين الجدد الى القوى العاملة. وتقول منظمة العمل الدولية ان متوسط البطالة بين الشباب في المنطقة يتجاوز 23 بالمئة. ويقول اريك برجلوف كبير الاقتصاديين لدى البنك الاوربي للانشاء والتعمير ان الوظائف يجعل وضع العالم العربي أكثر صعوبة في بعض الجوانب من التحديات التي واجهتها الكتلة السوفيتية السابقة قبل عشرين عاما. وقال برجلوف كانت هناك عدالة أكبر في توزيع الثروة في التسوية السوفيتية ولم السوفيتية ولم تكن البطالة مرتفعة الى هذا الحد. وقد تضمن نظاما اجتماعيا عصريا متكامل كفل العدل، والمساواة بين الرعية بصرف النظر عن معتقداتهم، ونصرة الظلوم

ويفعل الأوضاع الصعبة في منطقة شرق المتوسط لشركة سي.تي.أي التي ارسلت ناقلاتها للعمل في اندونيسيا. وقال الدجاني ان العالم العربي هو السوق التقليدية للشركة وليس اندونيسيا أو أي مكان آخر لان الشركة عربية وعمالها التقليديون هنا وهي تعمل في المنطقة منذ 20 عاما. وعبر عن امه في تحسين الأحوال. ولا تفصح سي.تي.أي عن بياناتها المالية باعتبارها شركة خاصة. يزال انعدام الأمن وانعدام اليقين السياسي يثنيان المستثمرين. وقد تشهد دول مثل مصر وليبيا مجموعة مختلفة تماما من المسؤولين الاقتصاديين منهم الأحزاب الإسلامية التي كانت تقصى من الحكومات في السابق. وقال الدجاني ان الناس في مصر في حالة ترقب حتى على مستوى من يرغب في اضافة غرفة جديدة الى منزله. وأضاف ان هذا يبطئ

لدرجة أنها ربما تتمكن من مواصلة الاتفاق حتى اذا ضغط ضعف الاقتصاد العالمي على اسعار النفط هذا العام. وقد يصيب الدول الأضعف جانب من هذا. فقد تعهدت الدول الغنية التي تحصر على استقرار الأوضاع لدى جيرانها بمساعدات بقيمة عشرة مليارات دولار للبحرين ومثلها لسلطنة عمان خلال السنوات المقبلة كما أنها تقدم يد العون للارن والمغرب. وتمتع السعودية والمسؤولون الحكوميون أكثر حرصا في تعاملاتهم مع الشركات. وقال "نعنا نأخذ" وقد تحصل مصر على مليارات الدولارات من المساعدات الخارجية حتى لم تتسلم الا قليلا من المساعدات الفعلية حتى الآن. ويقول صندوق النقد الدولي ان يبلغ النمو الاقتصادي في بعض المناطق 3,6 بالمئة في 2012 بانخفاض بسيط عن اربعة بالمئة في العام الماضي لكن هذه الأرقام تخفي تفاوتات كبيرة بين دول المنطقة. فمن المتوقع ان تنمو مصر بنسبة 1,8 بالمئة فقط هذا العام بينما قد يتوقف النمو في سوريا وليبيا اذا استمرت الاضطرابات. ومصطفى عبد الووود الرئيس التنفيذي لأبراج كابيتال من أولئك الذين يرون فرصا. وقال ان الأعمال في العالم العربي خلال السنوات الثلاث الماضية كانت تحت هيمنة مجموعتين هما الشركات المملوكة للحكومة والريعية الصحية وتطبيق نظم ضريبية أكثر تصاعديا. لكن برجلوف قال ان هذا سيبقي كلاما أجوف الى ان يعود الاستقرار السياسي والاقتصادي. وأضاف "الحكومات تحاول سد كل الفجوات وابقاف الزئيف بطريقة ما الأمر كله حاليا يتوقف على عودة الاستقرار. لكن ارتفاع اسعار النفط يحافظ على أساس اقتصادي قوي في العالم العربي. ففي العام الماضي انفتحت الدول الخليجية المنتجة للنفط بسخاء لشراء الاستقرار الاجتماعي من خلال خطط للرفاه الاجتماعي ومشروعات للبنية التحتية. وتعهدت السعودية مثلا بنحو 67 مليار دولار لبناء 500 الف منزل. وتفيض الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة بالسبولة حاليا

الريعية. وأضاف "الحكومات تحاول سد كل الفجوات وابقاف الزئيف بطريقة ما الأمر كله حاليا يتوقف على عودة الاستقرار. لكن ارتفاع اسعار النفط يحافظ على أساس اقتصادي قوي في العالم العربي. ففي العام الماضي انفتحت الدول الخليجية المنتجة للنفط بسخاء لشراء الاستقرار الاجتماعي من خلال خطط للرفاه الاجتماعي ومشروعات للبنية التحتية. وتعهدت السعودية مثلا بنحو 67 مليار دولار لبناء 500 الف منزل. وتفيض الكويت وقطر والامارات العربية المتحدة بالسبولة حاليا

مزيدا من الانفتاح. وقال عبد الووود لم يعد الأمر متعلقا بمن تعرفه بل بما تعرفه. ويتفق عدنان أحمد يوسف الرئيس التنفيذي لمجموعة البركة مع هذا الرأي. ويقول انه لاحظ في بنكه الحسنة 43 بالمئة العام الماضي. وبالطبع قد يؤثر رفع الأجور سلبي على التنافسية. لكنه أيضا عن طريق الحد من التفاوتات وتحفيز انفاق المستهلكين قد يسرع وتيرة النمو ويرفعه الى مستويات سنوية عند ستة بالمئة وأكثر وهي المستويات التي يعتقد الاقتصاديون انها لازمة لحل مشكلة البطالة في العالم العربي. ومن الناحية النظرية قد يؤدي ارتفاع اجور العاملين في السلع الاستهلاكية وبالتالي نمو الانتاج المحلي.

مراهات وترهن بعض الشركات العالمية بالفعل على مستقبل المنطقة. ففي الشهر الماضي أتمت كوكاكولا محادثات لشراء حصة في شركة العوجان الصناعية للمشروبات ومقرها السعودية مقابل 980 مليون دولار ووصفته بأنه أكبر استثمار لشركة عالمية في قطاع السلع الاستهلاكية في الشرق الأوسط وقالت متحدفة باسم كوكاكولا "في المستقبل.. بما فيه المستقبل القريب لا تزال متفائلة بقوة بأفاق النمو في المنطقة وفرص العمل هنا. وأضافت المنطقة فيها أعداد ضخمة من السكان في سن الشباب. وبدأت كوكاكولا محادثات مع العوجان قبل الربيع العربي. ويتركز اهتمام الشركة بالعوجان من أجل انشطتها خارج السعودية إذ ان 65 بالمئة من مبيعات الشركة لتدعيم أركان مجلس المنافسة الاضطرابات ورسوم حكومات جديدة من المحتمل أن تكون شبكات جديدة للمحسوبة والمقرين وهو ما من شأنه خلق هذه الاقتصادات مجددا. لكن عبد الووود يستبعد العودة الى النظام القديم. وقال لقد انكسر حاجز الخوف في عالم الاتصالات اليوم يمتلك المرء القدرة على الحديث. ولا يزال الدجاني متفائلا. وقال ان سي.تي.أي تتفاوض مع السلطات الليبية الجديدة لإعادة سفينته الى البلاد لتخليصه احتجاجات إعادة الاعمار بعد الحرب. وأضاف انه دائما تتضح الأوضاع هناك فإن ليبيا ستكون فرصة ضخمة والكل يتطلع اليها.

وحتى في الأماكن التي لا يزال

